

من كتابه: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض (14)

بعض فكر يحيى الرخاوي (1) شيخ خبراء العالم الحديث (2)



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2020/04/19

السنة الثانية عشرة - العدد: 4614

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

من يراجع مسار الإنسان فردا ونوعا، بكل تاريخه الحيوي، ثم ينظر إلى ما يحدث بنا، ولنا، ومن حولنا مما يبدو مناقضا للمنطق الظاهر والعقل السليم. لا بد وأن يتوقف مذعورا وهو يستشعر نكسة شاملة تحتاج إلى يقظة كل فرد من هذا النوع البشري طول الوقت. إن التطور البيولوجي الذي لم نعرفه إلا استنتاجا من التشريح المقارن، وعلم الأجنة المقارن، وخيال بعض المبدعين من العلماء (أمثال داروين وولاس) المدعم ببعض الملاحظات الناقصة، هو المفتاح الذي أحاول أن أفك به شفرة تلامس ما آل إليه حال البشر حالا.

كل المزاعم المعلنة، من القابعين أعلى الدرج، تدعى أنها تسعى إلى الأمان أو السلام للعالم. كل القائمين بهذا القتل والتشريد والاستغلال والاستعباد. يرفعون شعار السعي إلى مجتمع حر آمن من شر الإرهاب، (يقصدون: من شر الاختلاف مع الذين أنهموا التاريخ لحسابهم).

#### ما الحكاية بالضبط؟

هل الأمان بمعنى ضمان الأمن والسلامة هو غاية الحياة، أم أنه الوسيلة لاستمرارها؟ وإذا كان مجرد استمرار الحياة عند الكائنات الأدنى هو غاية المراد للحفاظ على النوع، فهل هو كذلك عند الإنسان بعد أن امتحن بالإسهام في تقرير مساره ومصيره بدرجة ما من الوعي اليقظ؟ وما هو نوع الأمان الذي يمكن أن يحافظ على حياة نوع على حساب نوع آخر من الأحياء؟ هل هو نفس نوع الأمان الذي يسمح بارتقاء الإنسان إلى ما يمكن أن يكونه؟

و ماذا لو عجز النوع الأرقى (مثل البشر) عن تحقيق أمان لائق بما وصلت إليه مرحلة تطوره (من اكتساب الوعي وفرص الحرية وشرف المسؤولية)؟ هل يرتد إلى نوع سابق من الأمان؟ أم يواصل السعي إلى ما هيأته له مكاسبه على مسار التطور؟

وهل في محاولة الإجابة على هذه الأسئلة ما يفسر بعض ما يجري؟

من يراجع مسار الإنسان فردا ونوعا، بكل تاريخه الحيوي، ثم ينظر إلى ما يحدث بنا، ولنا، ومن حولنا مما يبدو مناقضا للمنطق الظاهر والعقل السليم. لا بد وأن يتوقف مذعورا وهو يستشعر نكسة شاملة تحتاج إلى يقظة كل فرد من هذا النوع البشري طول الوقت

إن التطور البيولوجي الذي لم نعرفه إلا استنتاجا من التشريح المقارن، وعلم الأجنة المقارن، وخيال بعض المبدعين من العلماء (أمثال داروين وولاس) المدعم ببعض الملاحظات الناقصة، هو المفتاح الذي أحاول أن أفك به شفرة تلامس ما آل إليه حال البشر حالا.

هل الأمان بمعنى ضمان الأمن والسلامة هو غاية الحياة، أم أنه الوسيلة لاستمرارها؟

لا أتعرف على مرضى بتعليق لافتة عليها اسم مرض. أنا أتعرف عليهم بالتعمص، مما يعرضني لهزات ليست عابرة، لكنه يمكنني من فهم معنى ما اضطرهم إلى ذلك (إلى أن يختاروا المرض حلاً خائباً!)، كما أحاول أن أترجم لغتهم الخاصة إلى ما عجزوا عن التعبير عنه بلغة الكافة. أفعل ذلك بسهولة بسبب طول المران، لكنني أعجز حين أحاول نفس المحاولة مع من يسمون "الأسوياء".

حين بدأت في محاولة تعمص بعض الأفراد المسؤولين عن الجارى في الدنيا هذه الأيام، كان موقف السيد دبليو الأمريكى أصعبها على رحى أتناول: ماذا يمكن أن يكسبه هو شخصياً من هذا القتل بالجملة لأبرياء لا يعرفهم، بل لم يسمع عنهم أصلاً، وحتى إذا سمع عنهم فيبدو أنه لا، ولن، يفهم موقعه - الإنسانى - منهم، أو موقعهم منه.؟

هل يمكن تفسير كل هذا الذى يجرى بمجرد رغبة فرد، هو وبطانته، أن تمتد فترة شغلهم للبيت الأبيض أربع سنوات أخرى؟ هل هذه السنوات من المنظرة والسيطرة والرئاسة والخطب التى لا يعرف هذا الدبليو كيف يلقيها، والأوامر التى ليس له دور إلا فى تسميعها وترديدها وهو لا يعرف مصدرها، هل كل هذه الوظائف والنشاطات كافية لتبرير موقعه وهو يواصل بكل العمى كل هذا القتل والذبح والإذلال والإبادة؟

هل هذه الحروب التى أتاح لنفسه ولذويه فرصة خوضها بفضل 11 سبتمبر، الذى لا يستبعد أن يكون هو أو رجاله من أهم صنّاعه، بشكل مباشر أو غير مباشر، هل سيعود عليه كل ذلك هو شخصياً بأى فائدة تستأهل كل هذا النكوص والقتل والردة؟

هل ممارسة كل ذلك بكل هذه الضراوة هنا وهناك ستجعله - فرداً أجمل أمام نفسه، أو أمام ابنته، أو زوجته، أو صاحبتة، أو حتى أمام كلبته؟

لم أستطع أبداً أن أنجح فى تعمص شيخ خفراء العالم الغشيم هذا (أو شيخ المنسر) أكثر من ذلك.

من أسهل السهل أن نعزو غزو أفغانستان ثم التخطيط لغزو العراق، والاستمرار فى إبادة الشعب الفلسطينى بكل ما يصاحب ذلك من تقتيل وتشريد وإذلال وإبادة، من أسهل السهل أن نبرر كل ذلك بمصالح شركات البترول والسلاح والدواء والمعلومات، وهذا ما أفعله - مثل غيرى - مكرراً، سواء كانت تلك هى الحقيقة أم أنها جزء مما يسمى التفكير التأمري. لكن هذا التفسير، الذى يبدو لأول وهلة وجيهاً مقنعاً، احتاج منى أن أنتقل خطوة أخرى حين رحى أتصور ما يمكن أن يعود على هذه الشركات من فائدة، لا باعتبارها كيانات اعتبارياً يسير بالقصور الذاتى نحو التراكم الكمى دون هدف موضوعى، لكن بتجسيدها فى أفراد من البشر لهم أسماء وجوازات سفر وأطفال وأحلام، وحين لم أتمكن من رصد ما يعود على أى فرد بعينه من فائدة تفسر لى ما يجرى من حولى، تأكدت حاجتى إلى تفسير آخر.

وما هو نوع الأمان الذى يمكن أن يحافظ على حياة نوع على حساب نوع آخر من الأحياء؟ هل هو نفس نوع الأمان الذى يسمع بارتقاء الإنسان إلى ما يمكن أن يكونه؟

ماذا لو عجز النوع الأرقى (مثل البشر) عن تحقيق أمان لائق بما وصلت إليه مرحلة تطوره (من اكتساب الوعي وفرض الحرية وشرعية المسؤولية)؟ هل يتردد إلى نوع سابق من الأمان؟ أم يواصل السعى إلى ما هيأته له مكاسبه على مسار التطور؟

لا أتعرف على مرضى بتعليق لافتة عليها اسم مرض. أنا أتعرف عليهم بالتعمص، مما يعرضنى لهزات ليست عابرة، لكنه يمكنني من فهم معنى ما اضطرهم إلى ذلك

أحاول أن أترجم لغتهم الخاصة إلى ما عجزوا عن التعبير عنه بلغة الكافة. أفعل ذلك بسهولة بسبب طول المران، لكنني أعجز حين أحاول نفس المحاولة مع من يسمون "الأسوياء".

إن الإنسان بعد أن اكتسب القدرة على الاختيار والتخطيط لم يعد يناسبه أن يحقق الأمان بنفس الطريقة التى نجح أجداده فى اللجوء إليها عبر التاريخ الحيوى

يتحقق الأمان فى الأحياء الأدنى بوسائل دفاعية لا حصر لها، نكتفى هنا بالإشارة إلى نوعين دون التطرق إلى تفاصيل مضامينهما. أولاً: الأمان بالتكاثر، والاحتواء

بالقطيع.  
ثانيا: الأمان بالافتراض والتخلص  
من المختلف.

أمان الإنسان، له مواصفات  
أخرى تتجاوز الأمان البدائي  
بالتكاثر، أو بالقطيع، أو  
بالافتراض.

إن هذا الأمان الموضوعي هو  
هو الحافز لحركة جدلية مع  
الآخر (وليس لمجرد "قبول  
الآخر" كما يشيرون) ليحققنا  
معا نوعا أرقى من أمان  
إبداعي، دون تحقيقه، لأنه  
مفتوح النهاية.

إن جدلية الإيمان سعيا إلى وجه  
الحق سبحانه وتعالى، (وهي  
الموقف المرادف لمسيرة النمو  
مفتوحة النهاية) إن صحت  
ممارستها واقعا أنيا، هي التي  
تحافظ على زخم حركة  
متصاعدة، دورية إيقاعية  
بطبيعتها، متجهة نحو أفق  
مفتوح، لا يلغى للأمان، ولا  
يستسلم له هي نفس الوقت.

يتوقف نجاح الإنسان في تحقيق  
هذا الوجود الصعب على ما  
تتاح له من فرص نمو سليم في  
مجتمع يستوعب مراحل النمو  
البشري كما يليق

إن درجة نمو المجتمع البشري  
المحيط، بدءا من الأسرة  
امتدادا إلى العالم أجمع، هي  
التي تتيح للإنسان الفرد، في  
كل موقع، أن يكون إنسانا.

لا يوجد أكثر أمانا من جنين في  
رحم أمه تحيطه جدران الرحم

نحن لا يمكن أن نستسلم للتفسيرات السطحية الشائعة ونحن نرى العالم وكأنه يدار بواسطة شخص  
يصفه عضو حزب العمال البريطاني "آلان سمبسون" قائلا: "بحزن، أعتقد أن بوش سيضرب العراق  
بالطريقة التي يضرب بها ثمل قنينة المشروب" (النيوزيك 5 أكتوبر 2002).

## أمان وأمان

إن الإنسان بعد أن اكتسب القدرة على الاختيار والتخطيط لم يعد يناسبه أن يحقق الأمان بنفس  
الطريقة التي نجح أجداده في اللجوء إليها عبر التاريخ الحيوي..، يتحقق الأمان في الأحياء الأدنى بوسائل  
دفاعية لا حصر لها، نكتفي هنا بالإشارة إلى نوعين دون التطرق إلى تفاصيل مضامينهما.  
أولا: الأمان بالتكاثر، والاحتفاء بالقطيع.

ثانيا: الأمان بالافتراض والتخلص من المختلف.

النوع الأول من الأمان تحققه البكتريا - كمثال - بالتسارع بالانقسام وتكوين المستعمرات  
الخاصة (colonies)، ربما لهذا فرحت حين عرفت أن حديث "تناسلوا تكاثروا... إلخ" لا وجود له في  
كتب الأحاديث المعترف بها) أما النوع الثاني فهو يتحقق في الغابة عادة بين طبقات الحيوانات المفترسة،  
الأقوى فالأقوى. وفي كلا الحالين يتم الحصول على الأمان البدائي عن طريق إلغاء "الآخر" "المختلف"،  
اللهم إلا في بعض الصفقات البيولوجية، الطفيلية عادة.

## الأمان البشري

أمان الإنسان، له مواصفات أخرى تتجاوز الأمان البدائي بالتكاثر، أو بالقطيع، أو بالافتراض.

(1) بما أن الإنسان لا يكون كذلك (إنسانا) إلا مع، وفي حضور إنسان آخر من نفس نوعه، إنسان  
آخر مختلف وموضوعي ومائل طول الوقت في الواقع و/أو في الوعي. فإنه لا يتحقق الأمان البشري  
بدون الجدل الحيوي مع هذا الآخر البشري.

(2) إن مجرد تواجد الإنسان مع إنسان آخر لا بد أن يمثل تهديدا متجددا. حتى في الزواج الرسمي،  
يمكن أن نلاحظ أن مجرد اقتحام آخر لدائرة الوعي بهذه الطريقة اللصيقة، يولد تهديدا رائعا وخطيرا في  
آن.

(3) إن قبول هذا التحدي (التهديد بالاختلاف مع حتم الاستمرار معا) يخلق نوعا من "الأمان  
الموضوعي"، الذي هو الطريق إلى الأمان البشري.

(4) إن هذا الأمان الموضوعي لا يمثل قهرا يدفع إلى الإسراع بالتخلص منه، ولا هو عكس الأمان  
الذي تسلحت به الأحياء في المراحل السابقة للنمو أو التطور. إن هذا الأمان الموضوعي هو هو  
الحافز لحركة جدلية مع الآخر (وليس لمجرد "قبول الآخر" كما يشيرون) ليحققنا معا نوعا أرقى من  
أمان إبداعي، دون تحقيقه، لأنه مفتوح النهاية.

(5) إن جدلية الإيمان سعيا إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، (وهي الموقف المرادف لمسيرة النمو  
مفتوحة النهاية) إن صحت ممارستها واقعا أنيا، هي التي تحافظ على زخم حركة متصاعدة، دورية

وهو يترجح في السائل الأمنيوتي بعيدا عن مخاطر البيئة الخارجية وعن اختلاف الناس وعن عشوائية المظالم

هذا الموقف بشير إلى نوع من الأمان ليس فيه "آخر" أصلا. ويسمى "الموقف المنفرد" أو بالتعريب، وهو أفضل هنا. الموقف الشيزيدي Schizoid Position وهو موقف نمائى عند كل الناس، ليس خاصا بالفصامين.

بمجرد أن يولد هذا الطفل ينتقل من موقف الأمان الأولي (الموقف الشيزيدي) إلى مواجهة حقيقة له يكن يعرف عنها شيئا وهو في بطن أمه، وهي أنه ليس وحده في هذا العالم. فهو يشعر بالتهديد من أي كائن آخر، من أي ممن هو "ليس أنا"

تبدأ علاقة الرضيع مع العالم الخارجي (الذي يتمثل حتى ذلك الحين في أمه أساسا) باعتباره أن كل ما يقع خارجه - بدءا بأمه - هو خطر صرف: ["كل من "ليس أنا" هو تهديد لوجودي، لأمانى]. وهذا ما يسمى "الموقف البارنوي

يتواصل نمو الطفل بعد ذلك (كما تواصل التطور من قبل) لتبدأ مرحلة حضور الآخر متكاملًا متناقضا في الوعي، وفي الواقع على حد سواء، وهو ما يسمى: (الموقف الاكتئابي

هذا الموقف بالخاضع، الذي ليس له علاقة مباشرة بمرض الاكتئاب، هو مرحلة حتمية في

إيقاعية بطبيعتها، متجهة نحو أفق مفتوح، لا يلغى للأمان، ولا يستسلم له في نفس الوقت.

(6) يتوقف نجاح الإنسان في تحقيق هذا الوجود الصعب على ما تتاح له من فرص نمو سليم في مجتمع يستوعب مراحل النمو البشرى كما يليق. إن درجة نمو المجتمع البشرى المحيط، بدءا من الأسرة امتدادا إلى العالم أجمع، هي التي تتيح للإنسان الفرد، في كل موقع، أن يكون إنسانا.

## الردة

الذي جرى الآن يشير إلى أن طريقة الحياة، وطريقة التربية، وخذع السياسة، وكذب الشعارات (بما في ذلك شعارات الديمقراطية الزائفة، وحقوق الإنسان الموثقة على الورق فقط، للتطبيق الانتقائي) كل ذلك يشير إلى أن أغلب الذين يجلسون على القمة ليدبروا المجتمع البشرى في الوقت الراهن، لم يعودوا يحتملون أن يواصلوا مواجهة هذه الصعوبات الرائعة، لتهيئة الفرصة للإنسان أن يكمل مسيرته إنسانا. لقد فشلوا أن يحققوا الأمان البشرى، فارتدوا إلى أمان القتل والتكاثر والقطيع.

## قياسا على النمو الفردي

(1) لا يوجد أكثر أمانا من جنين في رحم أمه تحيطه جدران الرحم وهو يترجح في السائل الأمنيوتي بعيدا عن مخاطر البيئة الخارجية وعن اختلاف الناس وعن عشوائية المظالم. هذا الموقف يشير إلى نوع من الأمان ليس فيه "آخر" أصلا. ويسمى "الموقف المنفرد" أو بالتعريب، وهو أفضل هنا، الموقف الشيزيدي Schizoid Position وهو موقف نمائى عند كل الناس، ليس خاصا بالفصامين.

(2) بمجرد أن يولد هذا الطفل ينتقل من موقف الأمان الأولي (الموقف الشيزيدي) إلى مواجهة حقيقة لم يكن يعرف عنها شيئا وهو في بطن أمه، وهي أنه ليس وحده في هذا العالم. فهو يشعر بالتهديد من أي كائن آخر، من أي ممن هو "ليس أنا". تبدأ علاقة الرضيع مع العالم الخارجي (الذي يتمثل حتى ذلك الحين في أمه أساسا) باعتبار أن كل ما يقع خارجه - بدءا بأمه - هو خطر صرف: ["كل من "ليس أنا" هو تهديد لوجودي، لأمانى]، وهذا ما يسمى "الموقف البارنوي Paranoid Position (3)" (وهو ليس علاقة مباشرة أيضا مع مرض البارنويا).

في هذا الموقف تكون علاقة الطفل بالآخر بمثابة علاقة حربية معلنة، باعتبار أن أي آخر هو مصدر تهديد بالإغارة. هذا الموقف يعترف بالآخر بعكس سابقه الذي يلغيه تماما، لكنه يعلن باعترافه هذا: أن كل ما هو ليس أنا (not me) ، هو تهديد ينبغى التخلص منه (هل تذكر تعبير بوش ويطانته وتابعه أنه من ليس معنا فهو ضدنا هذا شعار هو إعلان الردة لإبادة المختلف باعتباره يمثل تهديدا ينبغى إزالته؟؟)

(3) يتواصل نمو الطفل بعد ذلك (كما تواصل التطور من قبل) لتبدأ مرحلة حضور الآخر متكاملًا متناقضا في الوعي، وفي الواقع على حد سواء، وهو ما يسمى: (الموقف الاكتئابي Depressive Position) هذا الموقف بالذات، الذي ليس له علاقة مباشرة بمرض الاكتئاب، هو مرحلة حتمية في النمو لنكون بشرا، وهو المرحلة المميزة لما حققه الإنسان المعاصر الأرقى من جدلية نتيجة للوعي والحرية والإسهام في تخليق ذاته مؤخرا. وهي نفس المرحلة التي يحرموننا منها بفضل السياسة، وسوء

استعمال أدوية السعادة المدغدة واليقين المصنوع، والتدين الساكن المتجمد.

### تفسير الجارى بقياس حذر

خطر لى أنه يمكن تتبع مراحل الأمان البدائية على مستوى الدول قياسا بما قدمناه على مستوى تطور الأحياء ومراحل نمو الفرد، فجاءت قراءة الجارى على الوجه التالى:

كانت الخطة الباكورة لأمريكا (الدولة) هى الاستغناء عن العالم الخارجى حيث بدأت بالتراجع أولا إلى العزلة (السياسية والاقتصادية، التى أسمتها الاستكفاء الذاتى، بما يعنى الاستغناء الذاتى، وهو ما يقابل الموقف الشيزيدي).

ثم انتقلت أمريكا بعد أن امتلكت أدوات التخلص من كل المخالفين، انتقلت إلى مرحلة الهجوم الوحشى على كل من هو ليس أنا: وهو ما يقابل الموقف البارنوى (للفرد والنوع معا).

موازيا لهذا وذاك عجزت أمريكا عن أن تحتتم وجود الاتحاد السوفيتى مختلفا، فكانت النتيجة، بعد أن أسهمت فى انهيار الأخير، أن الولايات المتحدة طغت وتغطرت وتنازلت عن مواصلة المسيرة البشرية إذ استقرت بالأمر والنهى والحساب والعقاب، فى حين سلم الاتحاد السوفيتى نفسه لصفقات ربما تحفظ ماء وجهه، ولكنها تنفى وجوده آخرا مختلفا.<sup>(4)</sup>

على الجانب الآخر راح الشرفاء والمبدعون من أمريكا الناس، مع كل الناس، راحوا يواصلون مسيرتهم إلى غاية البشر الواعدة. راحوا يبدعون، ويتحملون، ويحاورون، ويحتجون، حتى كان آخر ما سمعنا من إعلان الألفى مفكر ومثقف أمريكى وهم يصيحون فى وجه هذا الدبليو أنك لست نحن، وأنه قف عندك يا غبى، (وهذا ما قد يقابل الموقف الاكتئابى، وهو الموقف الإنسانى الجدلى الممتد).

### فروض من منظور التطور

من هذا المنطلق التطورى خطرت لى سلسلة من الفروض لتفسير الجارى على الوجه التالى:

أولا: فشل اليقين المصنوع“ (من الجانبين: الدينى المتجمد، والوصاياى الأحدث ) فى الحفاظ على الاستمرار للاستمرار، ربما لأنه كان لصالح فئة محدودة على حساب سائر أفراد النوع.

ثانيا: رأت الشركات التى تمثل قمة الاغتراب الكمى المعاصر، والتى لم تعد تنتمى لوطن أو دولة أو مبدأ أو بشر، أن بقاءها واستمرار عملقتها، مرتبط بقواعد ونزعات وغرائز بدائية لا ينبغى أن تغيب عن وعى الناس حتى تضمن استمرار مسيرتها اغترابا وتراكما كيميا. فراحت تسلك الطريق الأضمن لها بأن تشير فى الناس بطول الدنيا وعرضها رعبا بدائيا يدفعهم إلى النكوص إلى مراحل كانوا على وشك تخطيها.

ثالثا: لعلها -الشركات- هى التى دبرت، أو استغلت يطريق غير مباشر، حادث 11 سبتمبر لتحقيق ذلك، وبعد تمثليات الاتهام والأشرطة والغزوات والقتيل، راحت تنفخ فى لهيب اللأمان البدائى بشكل متواصل لا يقتصر على الحادث اياه.

### ردة محسوبة

النمو لنكون بشوا، وهو المرحلة المميزة لما حققه الإنسان المعاصر الأرقى من جدلية نتيجة للوعى والحرية والإسهام فى تخليق ذاته مؤخرًا

فشل اليقين المصنوع“ (من الجانبين: الدينى المتجمد، والوصاياى الأحدث ) فى الحفاظ على الاستمرار للاستمرار، ربما لأنه كان لصالح فئة محدودة على حساب سائر أفراد النوع.

رأت الشركات التى تمثل قمة الاغتراب الكمى المعاصر، والتى لم تعد تنتمى لوطن أو دولة أو مبدأ أو بشر، أن بقاءها واستمرار عملقتها، مرتبط بقواعد ونزعات وغرائز بدائية لا ينبغى أن تغيب عن وعى الناس حتى تضمن استمرار مسيرتها اغترابا وتراكما كيميا.

سكبوا مزيدا من البترول على نار اللأمان حتى لا تصمد، وذلك ليحافظوا على استمرار الشعور بالمع البدائى طول الوقت.

إن كل ذلك يسخر ليؤدى إلى الحفاظ على دفع اللأمان البدائى حتى يبرروا مواصلة الكر فالإغارة لنهى الآخر، للحصول على أمان زائف منهدد ساكن، يمارسون من خلاله اغترابهم الكمى المتزايد.

هذا الأمان الزائف البدائى الساكن هو الذى يظهر تحديدا فى موقفة: “ كُن معى والإقتلتك!!“، وهو الذى يتطور تدريجيا إلى “ كُن

إن هذه الفروض لا تفسر فقط ما جرى حتى الآن من حروب وقتل وتدمير، لكنها تفسر - أيضا - كيف أنه كلما تصور أصحاب المصلحة الخبيثة الجاثمة أن الإنسان الأمريكي (والأوروبي، ثم كل الناس) قد نسي، أو يمكن أن ينسى ما جرى في ذلك اليوم (11 سبتمبر)، ألقوا بكرة مشتعلة، أو سكبوا مزيدا من البترول على نار اللأمان حتى لا تهمد، وذلك ليحافظوا على استمرار الشعور بالهلع البدائي طول الوقت. يفعلون ذلك: مرة بالمبالغة في حكايات جمرة الأنتراكس، ومرة بإشاعة العثور على قنبلة فذرة تحوى مواد نووية، ومرة بتفريق امتلاك قنبلة ذرية لمن لا يملك قوت عياله.

إن كل ذلك يسخر ليؤدى إلى الحفاظ على دفع اللأمان البدائي حتى يبرروا مواصلة الكر بالإغارة لنفى الآخر، للحصول على أمان زائف منفرد ساكن، يمارسون من خلاله اغترابهم الكمي المتزايد. هذا الأمان الزائف البدائي الساكن هو الذى يظهر تحديدا فى موقف: “ كن معى وإلا قتلتك!!”، وهو الذى يتطور تدريجيا إلى “ كن تابعى وإلا أبتدك”، فتكون النتيجة بعد نجاح القتل والإبادة هى إلغاء الآخر جملة وتفصيلا، سرا أو علانية.

#### الأضعف يستجيب بنكوص مقابل

استجابة لهذا الموقف من الأقوى صاحب المصلحة فى الردة والنكوص، يجد الأضعف نفسه فى موقف الضحية الذى لا يملك أبسط الوسائل للدفاع عن النفس، فهو يستجيب لقهر الأقوى بالانسحاب فالتسليم، أو بالانتحار (لا أعنى العمليات الاستشهادية، وإنما أقصد الكسل واليأس) أو بالتكاثر منفصلا عن كل من خالف قطيعه، فضلا عن الذهول بالجمود. يضاعف هذا الموقف أن حكام هؤلاء المستضعفين يبدون وكأنهم قد تحالفوا سرا مع الأقوى لإنكفاء نار اللأمان البدائى بدورهم، فكأنهم يمارسون تفويضا - محدودا - للعب نفس دور القوى الناكسة الأعلى. إنهم يلعبون مع شعوبهم المقهورة نفس الدور الذى يلعبه الأقوى مع المختلفين عنه عبر العالم.

ثم تتفاقم المصيبة حين تشارك الشعوب الأضعف فى الإسهام بدورها فى تهادى نكسة الردة، إذ تدرك أنه لم يعد مسموحا لها إلا بالصياح والتظاهر (وأحيانا كتابة الشعر)!! دور المقهور هذا وهو يلغى نفسه يذكرنا بجدل العبد والسيد (هيجل) حين يحرم العبد سيده من إنسانيته بطاعته المطلقة فيعدم نفسه “آخرا” فيستحيل على السيد أن يكون إنسانا (إذ لا إنسان بدون آخر).

#### مخاض أكيد وولادة غير مضمونة

برغم كل ذلك، فإن العالم يعيش مخاضا جديدا خليقا بتاريخ الجنس البشرى. إنه التحدى الحقيقى لاستمرار البشر - كل الناس - وهم يحافظون على ما أوصلهم إليه تاريخهم الرائع. إن كل القوى الابداعية فى كل العالم ترصد هذا النكوص الجارى على السطح لتقاومه بمحاولة الاحتفاظ بما حققته البشرية عبر تاريخها، ومن ثم الانطلاق منه. إن حركات المقاومة من عامة الناس، ومن المبدعين خاصة، التى

تابعى وإلا أبتدك”، فتكون النتيجة بعد نجاح القتل والإبادة هى إلغاء الآخر جملة وتفصيلا، سرا أو علانية.

استجابة لهذا الموقف من الأقوى صاحب المصلحة فى الردة والنكوص، يجد الأضعف نفسه فى موقف الضحية الذى لا يملك أبسط الوسائل للدفاع عن النفس

يستجيب لقهر الأقوى بالانسحاب فالتسليم، أو بالانتحار (لا أعنى العمليات الاستشهادية، وإنما أقصد الكسل واليأس) أو بالتكاثر منفصلا عن كل من خالف قطيعه، فضلا عن الذهول بالجمود.

أن حكام هؤلاء المستضعفين يبدون وكأنهم قد تحالفوا سرا مع الأقوى لإذكاء نار اللأمان البدائى بدورهم، فكأنهم يمارسون تفويضا - محدودا - للعب نفس دور القوى الناكسة الأعلى

دور المقهور هذا وهو يلغى نفسه يذكرنا بجدل العبد والسيد (هيجل) حين يحرم العبد سيده من إنسانيته بطاعته المطلقة فيعدم نفسه “آخرا” فيستحيل على السيد أن يكون إنسانا (إذ لا إنسان بدون آخر).

إن العالم يعيش مخاضا جديدا خليقا بتاريخ الجنس البشرى. إنه التحدى الحقيقى لاستمرار البشر - كل الناس - وهم يحافظون على ما أوصلهم إليه تاريخهم الرائع

لا تقتصر على إصدار البيانات أو القيام بمظاهرات، هي الأمل الحقيقي في وقفة تفجر كل طاقات البشر لمراجعة كل الجارى، والإسهام في وقف التمدى في النكسة، وتحمل آلام وروعة ما وصل إليه الإنسان من صعوبات ليس أجمل منها إلا التعامل معها بما تعد وتبدر.

الأمر يحتاج من كل فرد أن يقبل مراجعة كل البديهيات دون استثناء مهما بدت الشعارات التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه براءة ومريحة.

ليس معنى مراجعة البديهيات والمقدسات أن نحطمها قبل أن نجد البديل، إن المراجعة غير التراجع، إن الاعتراف بأن البديهيات الشائعة لم تكن حلا نهائيا، لا بد وأن يصاحبه اعتراف بدورها الإيجابي في مرحلة كنا نحتاجها فيه.

### أسئلة وتحديات

لم أكن أقصد وأنا أضع هذه الفروض أن أقدم إجابات، ولكننى عنيت أن أطرح تساؤلات أصبحت محاولة الإجابة عليها فرض عين على كل إنسان حريص على أن يستمر نوعه بما أنجز ويعد.

أولا: كيف نسعى إلى الأمان المفتوح النهائية، بالحفاظ على "اللا أمان البشرى" الإيجابي الناتج عن التواجد مع آخر مختلف فعلا.

ثانيا: كيف نوقف خدعة "قبول الآخر" التي ليست إلا فض اشتباك لصالح الأقوى، ليحل محلها "الجدل مع المختلف" لتخليق ما يمكن منهما معا ؟

ثالثا: كيف يمكن تحقيق الحرية الحقيقية من خلال التنازل عن أوهام الديمقراطية، دون أن نقع في الاستسلام لشمولية تتريص.

رابعا: كيف يمكن أن نحافظ على حقنا في "الحزن" الذى هو الدليل الطبيعى على وعينا بمأزق الاختلاف دون أن يعطونا حبوب السعادة متهمين إيانا بالمرض؟ إن الحزن الموضوعى هو علامة الاعتراف بضرورة معايشة اللأمان الموضوعى دون الإسراع نحو تحقيق أمان ساكن بإلغاء الآخر بالكر أو بالفر، بالعزلة أو بالإبادة.

### الخلاصة

إن الانسان لا يكون إنسانا بأوهام امتلاك قوى ساحقة، أو بالأمل فى خلود زائف، أو برفع شعارات قصيرة عمرها الافتراضى. أو بزعم محاولة توحيد العالم تحت راية شعارات ومذاهب تخص فئة دون سائر البشر.

إن الإنسان يكون إنسانا بالحفاظ على ما وصل إليه من وعى وحرية، هما السبب المباشر فى استمرارية اللأمان الموضوعى المصاحب بالاكنتاب الحيوى الضرورى لمواجهة الواقع، والذى هو - برغم اسمه - ضد اليأس ومع الفرحة بكوننا قادرين على اقتحام الغيب إيماننا به واحتسابا، ساعين إلى وجه الحق سبحانه، وهو - تعالى - ليس كمثله شىء.

\*\*\*\*

إن حركات المقاومة من عامة الناس، ومن المدغمين خاصة، التي لا تقتصر على إصدار البيانات أو القيام بمظاهرات، هي الأمل الحقيقي في وقفة تفجر كل طاقات البشر لمراجعة كل الجارى، والإسهام في وقف التمدى في النكسة

كيف نسعى إلى الأمان المفتوح النهائية، بالحفاظ على "اللا أمان البشرى" الإيجابي الناتج عن التواجد مع آخر مختلف فعلا.

كيف نوقف خدعة "قبول الآخر" التي ليست إلا فض اشتباك لصالح الأقوى، ليحل محلها "الجدل مع المختلف" لتخليق ما يمكن منهما معا ؟

كيف يمكن تحقيق الحرية الحقيقية من خلال التنازل عن أوهام الديمقراطية، دون أن نقع في الاستسلام لشمولية تتريص.

كيف يمكن أن نحافظ على حقنا في "الحزن" الذى هو الدليل الطبيعى على وعينا بمأزق الاختلاف دون أن يعطونا حبوب السعادة متهمين إيانا بالمرض؟

إن الحزن الموضوعى هو علامة الاعتراف بضرورة معايشة اللأمان الموضوعى دون الإسراع نحو تحقيق أمان ساكن بإلغاء الآخر بالكر أو بالفر، بالعزلة أو بالإبادة.

إن الانسان لا يكون إنسانا بأوهام امتلاك قوى ساحقة، أو بالأمل فى

خلود زائفه، أو برفع شعارات قصيرة عمرها الافتراضي. أو بزعم محاولة توحيد العالم تحت راية شعارات ومذاهب تخص فئة دون سائر البشر.

إن الإنسان يكون إنسانا بالحفاظ على ما وصل إليه من وعى وحرية، هما السبب المباشر في استمرارية الأمان الموضوعي المصاحب بالاعتناء الحيوي الضروري لمواجهة الواقع، والذي هو - برغم اسمه - ضد اليأس ومع الفرحة يكوننا قادرين على اقتحام الغيب إيماناً به واحتساباً، ساعين إلى وجه الحق سبحانه، وهو - تعالى - ليس كمثله شيء.

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى الرخاوي) الطبعة الأولى (2019) وصورته الأولى كانت مقالات في) مجلة سطور) (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط

- [2] مجلة سطور: (عدد نوفمبر 2002) - وكان العنوان الأصلي: "التمن الغالي لتطور الإنسان"

- [3] تطور فكري بعد ذلك من منطلق تطوري إلى التعامل على هذه المراحل ليس باعتبارها موقفاً أو موقعا يعود إليه الكائن البشري عند الضغوط أو النكوص أو المرض وإنما باعتبارها أطوار في دورات الإيقاع الحيوي المنتظمة الدائمة تنشط بالتناوب باستمرار، ويحد نشاطها وعند الحاجة إليها في الصحة والمرض.

- [4] كان هذا حتى كتابة هذا المقال سنة 2002

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD190420.pdf>

\*\*\* \*\*

## مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً... نذهب أبعد

### اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=275&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3)

2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=116&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3)

3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=117&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3)

- اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

[www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf](http://www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf)

- اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

Dr. Jamel TURKY ( Sfax - TUNISIA )

ARABPSYFOUND President